**مَن كَسَرَ الأصْنامَ؟**

**١-بائِعُ الأصْنام**

قَبْلَ أيَّامٍ كَثيرةٍ. كَثيرَةٍ جِدًا.

كانَ في قَرْيَةٍ رَجُلٌ مَشْهُورٌ جِدًّا

وَكَانَ اسْمُ هٰذا الرَّجُّلِ آزَرَ

وَكَانَ آزَرُ يَبِيعُ اْلْأَصْنَامَ.

وَكَانَ فِي هذِهِ الْقَرْيَةِ بَيْتٌ كَبِيرٌ جِدًّا.

وَكان فِي هٰذَا البَيْتِ أَصْنَامٌ، أَصْنَامٌ كَثِيرةٌ جِدًّا

وَكَانَ النَّاسُ يَسْجُدُونَ لِهذِهِ الْأَصْنَامِ.

وَكَانَ آزَرُ يَسْجُدُ لِهذِهِ الْأَصْنَامِ.

وَكَانَ آزَرُ يَعْبُدُ هذِهِ الْأَصْنَامَ.

**٢- وَلَدُ آزرَ**

وَكَانَ آزَرُ لَهُ وَلَدٌ رَشِيدٌ، رَشِيدٌ جِدًّا.

وَكَانَ اسْمُ هذَا الْوَلَدِ إِبْرَاهِيمَ.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَرى النّاسَ يَسْجُدُونَ لِلْأَصْنَامِ.

وَيَرَى النَّاسَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ.

وَكَانَ إِبْراهِيمُ يَعْرِفُ أَنَّ الْأَصْنَامَ حِجَارَةٌ.

وَكَانَ يَعْرفُ أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَتَكَلَّمُ وَلَا تَسْمَعُ.

وَكَانَ يَعْرفُ أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ.

وَكَانَ يَرَى أَنَّ الذُّبابَ يَجْلِسُ عَلَى الْأَصْنَامِ فَلا تَدْفَعُ

وَكَانَ يَرَى الْفأرَ يَأْكُلُ طَعَامَ الْأَصْنَامِ فَلَا تَمْنَعُ.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ: لِمَاذَا يَسْجُدُ النَّاسُ لِلْأَصْنَامِ؟

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَسْأَلُ نَفْسَهُ: لِمَاذَا يَسْأَلُ النَّاسُ الْأَصْنَامَ؟

**٣- نَصِيحةُ إبْراهيمَ**

وَكَانَ إبْرَاهِيمُ يَقُولُ لِوَالِدِهِ:

يَا أَبي، لِمَاذَا تَعْبُدُ هذِهِ الْأَصْنَامَ؟

وَيَا أَبي لِمَاذَا تَسْجُدُ لِهذِهِ الْأَصْنَامِ؟

وَيَا أَبِي لِماذَا تَسْأَلُ هذِهِ الْأَصْنَامَ؟

إِنَّ هذِهِ الْأَصْنَامَ لاَ تَتَكَلَّمُ وَلَا تَسْمَعُ!

وَإِنَّ هذِهِ الْأَصْنَامَ لا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ!

وَلِأَيِّ شَيءٍ تَضَعُ لَهَا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ؟

وَإِنَّ هذِهِ الْأَصْنَامَ يَا أَبِي لا تَأْكُلُ وَلاَ تَشْرَبُ!

وَكَانَ آزَرُ يَغْضَبُ وَلا يَفْهَمُ.

وَكَانَ إبْرَاهِيمُ يَنْصَحُ لِقَوْمِهِ، وَكَانَ النَّاسُ يَغْضَبُونَ وَلا يَفْهَمُونَ.

قَالَ إبْرَاهِيمُ أَنَا أَكْسِرُ الْأَصْنَامَ إذَا ذَهَبَ النَّاسُ، وَ حِينَئِذٍ يَفْهَمُ النَّاسُ.

**٤- إبراهيمُ يكسرُ الأصنام**

وَجَاءَ يَوْمُ عِيْدٍ فَفَرِحَ النَّاسُ.

وَخَرَجَ النَّاسُ لِلْعِيْدِ وَخَرَجَ الْأَطْفَالُ

وَخَرَجَ وَالِدُ إبْرَاهِيمَ وَقالَ لِإِبْرَاهِيمَ: أَلاَ تَخْرجُ مَعَنَا؟

قَالَ إبْرَاهِيمُ: أَنَا سَقِيمٌ!

وَذَهَبَ الناسُ وَبَقِيَ إبْرَاهِيمُ فِي الْبَيْتِ.

وَجَاءَ إبْراهِيمُ إلَى الْأَصْنَام، وَقَالَ لِلْأَصْنَامِ :

أَلا تَتَكَلَّمُونَ؟ أَلا تَسْمَعُونَ؟

هذَا طَعَامٌ وَشَرَابٌ! أَلا تَأْكُلُونَ؟ أَلا تَشْرَبْونَ؟

وَسَكَتَتِ الْأَصْنَامُ لِأَنَّهَا حِجَارَةٌ لا تَنْطقُ.

قَالَ إبْراهِيمُ: ( مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ ) .

وَسَكَتَتِ الْأَصْنَامُ وَمَا نَطَقَتْ.

حِينَئذٍ غَضِبَ إبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْفَأْسَ.

وَضَرَبَ إبْرَاهِيمُ الْأَصْنَامَ بالْفَأْسِ وَكَسَرَ الْأَصْنَامَ.

وَتَرَكَ إبْرَاهِيمُ الصَّنَمَ الْأَكْبَرَ وَعَلَّقَ الْفَأْسَ فِي عُنُقِه.

**٥- من فعل هذا؟**

وَرَجَعَ النَّاسُ ودَخَلُوا في بَيْتِ الْأَصْنَامِ.

وَأَرَادَ النَّاسُ أَنْ يَسْجدُوا لِلْأَصْنَامِ لِأَنَّهُ يَوْمُ عِيدٍ.

وَلَكِنْ تَعَجَّبَ النَّاسُ وَدَهِشُوا.

وَتَأَسَّفَ النَّاسُ وَغَضِبُوا.

قَالُوا:( مَنْ فَعَلَ هذَا بآلِهَتِنَا)؟

(قَالُوا: سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إبْرَاهِيمُ)

(قالُوا: أَأَنْتَ فَعَلْتَ هذَا بآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ)

(قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هذَا فَاسْئَلُوهُمْ إنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ).

وَكَانَ النَّاسُ يَعْرفُونَ أَنّ الْأَصْنَامَ حِجارَةٌ.

وَكَانُوا يَعْرفُونَ أَنّ الحِجَارَةَ لا تَسْمَعُ ولاَ تَنْطِقُ.

وَكَانُوا يَعْرفُونَ أَنّ الصَّنَمَ الْأَكْبَرَ أيْضًا حَجَرٌ.

وَأَنَّ الصَّنَمَ الْأَكْبَرَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَمْشِيَ و يَتَحَرَّكَ.

وَأَنَّ الصَّنَمَ الْأَكْبَرَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكْسِرَ الْأَصْنَامَ.

فَقَالُوا لِإِبْرَاهِيمَ: أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَنْطِقُ

قَالَ إِبْرَاهيمُ: فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَإِنَّها لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ؟

وَكَيْفَ تَسْأَلونَ الْأَصْنَامَ وَإنَّها لَا تَنْطِقُ وَلَا تَسْمَعُ؟

أَلَا تَفْهَمُونَ شيْئًا، أَفَلا تَعْقِلُونَ؟

وَسَكتَ النَّاسُ وَخَجِلُوا!

**٦- نار باردة**

اِجْتَمَع النَّاسُ وَقَالوا: مَاذا نَفْعَلُ؟

إنَّ إِبْرَاهِيمَ كَسَرَ الْأَصْنَامَ وَأَهَانَ الآلَهِةَ!

وَسَأَلَ النَّاسُ: مَا عِقَابُ إِبْرَاهِيمَ؟ مَا جَزَاءُ إبْرَاهِيمَ؟

كانَ الْجَوابُ: ((حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتكُمْ)).

وَهكَذَا كانَ: أَوْقَدُوا نَارًا وَأَلْقَوْا فِيهَا إِبْرَاهيمَ.

وَلكِنَّ اللهَ نَصَرَ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ للِنَّارِ:

((يَا نَارُ كُوْنِي بَرْدًا وسَلَامًا عَلَى إبْرَاهِيمَ))

وهكَذَا كانَ، كانَتِ النَّارُ بَرْداً وَسَلاَماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ

وَرَأَى النَّاسُ أَنَّ النَّارَ لَا تَضُرُّ إِبْرَاهِيمَ.

وَرَأَى النَّاسُ أَنَّ إبْرَاهيم مَسْرُورٌ، وَأَنَّ إبْرَاهيمَ سَالِمٌ وَدَهِشَ النَّاسُ وَتَحيَّرُوا.

**٧- مَن رَبِّي**

وَذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَى إِبْرَاهِيمُ كَوْكَبًا، فَقالَ: هذَا رَبِّي.

وَلَمَّا غَابَ الكَوْكَبُ، قَالَ إبْرَاهِيمُ: لَا! هذَا لَيْسَ بِرَبِّي!

وَرَأَى إبْرَاهِيمُ الْقَمَرَ فَقَالَ: هذَا رَبِّي.

وَلَمَّا غَابَ الْقَمَرُ، قَالَ إبْرَاهِيمُ: لَا! هذَا لَيْس بِرَبي!

وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ إبْرَاهِيمُ: ((هذَا رَبِّي هذَا أَكْبَرُ)).

وَلمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ في اللَّيْلِ قالَ إبراهِيمُ: لَا!

هذَا لَيْسَ بِرَبِّي.

إنَّ اللهَ حَيٌ لَا يَمُوتُ.

إنَّ اللهَ باقٍ لَا يَغِيبُ.

إنَّ اللهَ قَوِيٌّ لَا يَغْلِبُهُ شيءٌ.

وَالْكَوْكَبُ ضَعِيفٌ يَغْلِبُهُ الصُّبْحُ.

وَالْقَمَرُ ضَعِيفٌ تَغْلِبُهُ الشَّمْسُ.

وَالشَّمْسُ ضَعِيفةٌ يَغْلِبُها اللَّيْلُ وَيَغْلِبُهَا الْغَيْمُ.

وَلَا يَنْصُرُنِي الْكَوْكَبُ لِأَنّهُ ضَعِيفٌ.

وَلَا يَنْصُرُني الْقَمَرُ لِأَنّهُ ضَعِيفٌ.

وَلَا تَنْصُرُني الشَّمْسُ لِأّنَّها ضَعِيفَةٌ.

وَيَنْصُرُني اللهُ.

لِأَنَّ اللهَ حَيٌّ لا يمُوتُ.

وباقٍ لا يَغِيبُ.

وَقَوِيٌّ لَا يَغلِبُهُ شيءٌ.

**٨- ربِّيَ اللهُ**

وَعَرَفَ إبراهيمُ أَنَّ اللهَ رَبُّهُ.

لِأَنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يمُوتُ.

وأَنَّ اللهَ باقٍ لَا يَغِيبُ.

وَأَنَّ اللهَ قَوِيٌّ لَا يَغْلِبُهُ شيءٌ.

وَعَرَفَ إِبراهيمُ أَنَّ اللهَ رَبُّ الْكَوكَبِ!

وَأَنّ اللهَ رَبُّ الْقَمَرِ!

وَأَن اللهَ رَبُّ الشَّمْسِ!

وَأَنّ اللهَ رَبُّ الْعَالمينَ!

وَهَدَى اللهُ إبراهيمَ وَجَعَلَهُ نبيًّا وَخَلِيلًا.

وَأَمَرَ اللهُ إِبراهيمَ، أَنْ يَدْعُوَ قَوْمَهُ ويَمْنَعَهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ.

**٩- دعوَةُ إبراهيمَ**

وَدَعَا إبراهيمُ قَوْمَهُ إلَى اللهِ وَمَنَعَهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ.

قَال إبراهيمُ لقَوْمِه: مَا تَعْبُدونَ؟

(( قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا ))

قالَ إِبراهيمُ:

(( هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إذْ تَدْعُونَ )).

(( أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ))

(( قَالُوا بلْ وَجَدْنَا آباءَنَا كذلِك يَفْعَلُونَ ))

قالَ إبراهيمُ: فأَنَا لَا أَعْبُدُ هذِهِ الْأَصْنَامَ.

بَلْ أَنَا عَدُوٌّ لِهذِهِ الْأَصْنَامِ.

أَنَا أَعْبُدُ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

(( الَّذِي خَلَقَني فَهُوَ يَهْدِين )).

(( والّذِي هُوَ يُطْعِمُني وَيَسْقِينِ ))

(( وإذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين )).

(( والَّذِي يُمِيتُني ثُمَّ يُحْيِين )).

وَإنّ الْأَصْنَامَ لَا تَخْلُقُ ولَا تَهْدِي.

وَإنَّهَا لاَ تُطْعِمُ أَحَدًا وَلَا تَسْقِي.

واذَا مَرِضَ أحَدٌ فَهِيَ لَا تَشْفِي.

وَإنَّهَا لَا تُمِيتُ أحَدًا وَلَا تُحْيي.

**١٠- أمام المَلكِ**

كانَ فِي الْمَدِينَةِ مَلِكٌ كَبِيرٌ جِدًا، وَظَالِمٌ جِدًا.

وكانَ النَّاسُ يَسْجُدُونَ للْمَلِكِ.

وسَمِعَ المَلِكُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ يَسْجُدُ للهِ ولَا يَسْجُدُ لِأَحَدٍ فغَضِبَ المْلِكُ وطَلَبَ إِبْرَاهِيمَ.

وجَاءَ إِبْرَاهِيمُ، وكَانَ إبْرَاهِيمُ لَا يخَافُ أحدًا إلَّا الله قَالَ المْلِكُ: مَنْ ربُّكَ يا إبْرَاهِيمُ؟

قَالَ إبُرَاهيمُ: رَبّيَ اللهُ!

قال المَلِكُ: مَنِ اللهُ يا إبْرَاهيمُ؟

قالَ إبْراهيمُ: ((الذي يُحيي و يُميتُ))

قَالَ المْلِكُ: (( أنَا أُحي وأُمِيتُ )).

ودَعَا الملِك رَجُلًا وقَتَلَهُ.

ودَعَا رَجُلًا آخَرَ وتَرَكَهُ.

وقَالَ: أنا أُحيي وأُمِيتُ، قَتَلْتُ رَجُلًا وتركْتُ رَجُلًا.

وكَانَ الملِكُ بلِيدًا جدًا، وكَذَلِكَ كلُّ مُشْرِكٍ.

وأرادَ إبْراهيمُ أنْ يَفْهَمَ الملِكُ، ويَفْهَمَ قَوْمُهُ.

فقَالَ إبَراهيمُ للمَلِكِ: (( فَإِنَّ اللهَ يأتي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ )).

فَتَحَيَّر الملِكُ وَسَكَتَ.

وخَجِلَ الملِكُ، ومَا وجَدَ جَوابًا.

**١١- دعوةُ الوالد**

وأرادَ إبراهيمُ أنْ يَدْعُوَ والدَهُ أيْضًا، فقَالَ لَهُ:

(( يا أبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ))

ولِمَ تَعْبُدُ ما لَا يَنْفعُ ولَا يَضُرُّ؟

(( يا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشّيْطَانَ ))!

يا أبَتِ اُعْبُدِ الرَّحْمنَ!

وغَضِبَ والِدُ إبراهيمَ، وقالَ:أنا أضرِبُكَ، فَاتْرُكْني ولاَ تَقُلْ شَيْئًا.

وكَانَ إبراهيمُ حَلِيمًا، فَقَالَ لِوالِدِهِ: (( سَلامٌ عَلَيْكَ ))

وقَالَ لَهُ: أنَا أَذْهَبُ مِنْ هُنَا وأدْعُو رَبِّي.

وتَأَسَّفَ إبْرَاهيمُ جِدًا، وأرادَ أنْ يَذْهَبَ إلَى بلَدٍ آخَرَ، ويَعْبُدَ رَبَّهُ، وَيَدْعُوَ النَّاسَ إلَى اللهِ.

**١٢- إلى مكة**

وَغَضِبَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَغَضِبَ المَلِكُ وَغَضِبَ وَالِدُ اِبْرَاهِيمَ.

وَأَرَادَ اِبْرَاهِيمُ أَنْ يُسَافِرَ اِلى بَلَدٍ آخَرَ ويَعْبُدَ فِيهِ اللهَ وَيَدْعُوَ النَّاسَ إلى اللهِ.

وَخَرَجَ إِبْرَاهيمُ مِنْ بَلَدِهِ وَوَدَّعَ وَالِدَهُ.

وَقَصَدَ إِبْراهِيمُ مَكَّةَ وَمَعَهُ زَوْجُهُ هَاجرُ.

وَكَانَتْ مَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا عُشْبٌ وَلا شَجَرٌ.

وَكَانَتْ مَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا بِئْرٌ وَلا نَهَرٌ.

وَكَانَتْ مَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا حَيَوَانٌ وَلا بَشَرٌ.

وَوَصَلَ إِبْرَاهيمُ إلى مَكّةَ وَنَزَلَ فِيهَا.

وَتَرَكَ إِبْرَاهيمُ زَوْجَهُ هَاجَرَ وَوَلَدَهُ إِسْماعِيلَ وَلَمَّا أَرَادَ إِبْرَاهيمُ أَنْ يَذْهَبَ قَالَتْ زَوْجُهُ هَاجرُ إِلى أيْنَ يَا سَيِّدِي؟ أَتَتْرُكُني هُنَا؟

أَتَتْرُكني وَلَيْسَ هُنَا مَاءٌ وَلاَ طَعَامٌ! هَلْ أَمَرَكَ اللهُ بِهذَا؟

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: نَعَمْ!

قَالَتْ هَاجُرُ: إِذًا لَا يُضِيْعَنَا!

**١٣- بئر زمزم**

وَعَطِشَ إسْماعِيلُ مَرَّةً، وَأَرَادَتْ أْمُّهُ أَنْ تَسْقِيَهُ مَاءً

وَلكِن أَيْنَ الْمَاءُ؟ وَمَكّةُ لَيْسَ فِيهَا بِئْرٌ، وَمَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا نَهَرٌ! وَكَانَتْ هَاجُر تَطْلُبُ الْمَاء وَتَجْرِي مِنَ الصَّفَا إِلى الْمَرْوَةِ ومِنَ الْمَرْوَةِ إِلى الصَّفَا.

وَنَصَرَ اللهُ هَاجرَ ونَصَرَ إسْماعِيلَ فَخَلَقَ لَهُمَا مَاءً.

وخَرَجَ الماءُ مِنَ الْأَرْضِ وَشَرِبَ إسْماعِيلُ وشَرِبَتْ هَاجرُ وَبَقِيَ الْماءُ فَكَانَ بِئْرَ زَمْزَمَ، فَبَارَكَ اللهُ في زَمْزَمَ وَهذِهِ هِيَ الْبِئرُ الَّتي يَشْرَبُ مِنْهَا النَّاسُ في الْحَجِّ وَيَأْتُونَ بِمَاءِ زَمْزَمَ إلى بَلَدِهِمْ.

هَلْ شَرِبْتَ مَاءَ زَمْزَمَ؟

**١٤- رؤيا إبراهيمَ**

وَعَادَ إبْرَاهِيمُ إلى مَكّةَ بَعْدَ مُدَّةٍ.

ولَقِيَ إسْماعِيلَ ولَقِيَ هَاجرَ، وفَرحَ إبْرَاهيمُ بِوَلَدِهِ إسْماعِيلَ. وكَانَ إسْماعِيلُ ولَدًا صَغِيرًا، يَجْرِي وَيَلْعَبُ وَيَخْرُجُ مَعَ والِدِهِ.

وكَانَ إبْرَاهيمُ يُحِبُّ إسْماعِيلَ جِدًا.

وذَاتَ لَيْلَةٍ رَأى إبْرَاهيمُ في الْمَنَامِ أَنَّهُ يَذْبَحُ إسْماعِيلَ. وكَانَ إبْراهيمُ نَبِيًّا صَادقًا، وكَانَ مَنَامُهُ مَنَامًا صَادِقًا، وكَانَ إبْراهيمُ خَلِيلَ اللهِ، فَأَرادَ أَنْ يَفْعَلَ مَا أَمَرَهُ اللهُ في الْمَنَامِ.

وقَالَ إبْرَاهيمُ لِإسْماعِيلَ:

( إنِّي أَرَى في الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى )

( قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ )

وأَخَذَ إِبْراهيمُ إسْماعِيلَ مَعَهُ وأَخَذَ سِكِّينًا.

ولَمَّا بَلَغَ إبْراهيمُ مِنًى، أَرادَ أَنْ يَذْبَحَ إسْماعِيلَ.

واضْطَجَعَ إسْماعِيلُ عَلَى الْأَرْضِ، وأَرَادَ إبْرَاهيمُ أَنْ يَذْبَحَ فَوَضَعَ السِّكِّينَ عَلَى حُلْقُومِ إسْماعِيلَ.

ولكِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى هَلْ يَفْعَلُ خَلِيلُهُ مَا يأْمُرُهُ.

وهَلْ يُحِبُّ اللهَ أَكْثَرَ أَوْ يُحِبُّ ابْنَهُ أَكْثَرَ.

وَنَجَحَ إِبْراهِيمُ في الامتحان.

فأرْسَلَ اللهُ جِبْرِيلَ بِكَبْشٍ مِنَ الجنَّةِ وقَالَ اذْبَحْ هذَا ولا تَذْبَحْ اسْماعِيلَ.

وأَحَبَّ اللهُ عَمَلَ إبْرَاهيمَ، فَأَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِالذَّبحِ فِي عِيد الْأَضْحَى.

صَلَّى اللهُ عَلَى إبراهيمَ الخَلِيلِ وسَلَّمَ.

وصَلَّى اللهُ عَلَى ابْنِهِ إسْماعِيلَ وسَلَّمَ.

**١٥- الكعبة**

وَذَهبَ إبْراهيمُ وَعَادَ بَعْدَ ذلِكَ، وأَرادَ أَنْ يَبْنيَ بَيْتًا لِلّهِ. وَكَانَتْ الْبُيُوتُ كَثِيَرةً وَما كَانَ بَيْتٌ للهِ يَعْبُدُوَنَ فِيهِ اللهَ.

وَأَرَادَ إِسْماعِيلُ أَنْ يَبْنيَ بَيْتًا للهِ مَعَ وَالِدِهِ.

وَنَقَلَ إبْرَاهيمُ وَإسْماعِيلُ الْحِجَارَةَ منَ الْجِبَالِ.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَبْني الْكَعْبَةَ بِيَدهِ وَكَانَ إسْماعِيلُ يَبْني الْكَعْبَةَ بِيَدِهِ.

وَكَانَ إبْرَاهِيمُ يَذْكُرُ اللهَ وَيَدْعُو.

وَكَانَ إسْماعِيلُ يَذْكُرُ اللهَ وَيَدْعُو.

(( رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إنَّكَ أَنْتَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ ))

وَتَقَبَّلَ اللهُ مِنْ إبْرَاهِيمَ وإسْماعِيلَ وَبَارَكَ في الْكَعْبَةِ

نَحْنُ نَتَوَجَّهُ إلى الْكَعْبَةِ في كلِّ صَلاةٍ.

ويُسَافِرُ الْمُسْلِمُونَ إلى الْكَعْبَةِ فيِ أَيَّامِ الْحَجِّ.

ويَطُوفُونَ بِالْكَعْبَةِ وَيُصَلُّونَ عِنْدَهَا.

بَارَكَ اللهُ في الْكَعْبَةِ وتَقَبَّلَ مِنْ إبْرَاهِيمَ وإسْماعِيلَ صَلَّى اللهُ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَسَلَّمَ.

صَلَّى اللهُ عَلَى إسْماعِيلَ وسَلَّمَ.

وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ.

**١٦- بيتُ المَقْدِسِ**

وَكَانَ لإِبْراهيمَ زَوْجٌ أُخْرَى، اِسْمُهَا سَارَة.

وَكَانَ لإِبْراهيمَ وَلَدٌ آخَرُ مِنْ سَارَةَ اسْمُهُ إسْحاقُ.

وسَكَنَ إبْرَاهِيمُ في الشَّامِ، وسَكَنَ إسْحاقُ.

وَبَنى إسْحاقُ بَيْتًا للهِ فيِ الشّامِ، كَمَا بَنَى أَبُوهُ وأَخُوهُ بَيْتًا للهِ فيِ مَكَّةَ.

وَهذَا الْمَسجْدُ الَّذِي بَنَاهُ إسْحاقُ فيِ الشَّامِ هُوَ بَيْتُ المقْدِسِ.

وَهُوَ المَسْجِدُ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَ اللهُ حَوْلَهُ، وبَارَكَ اللهُ فيِ أَوْلاَدِ إِسْحاقَ كَمَا بَارَكَ فيِ أَوْلاَدِ إِسْماعِيلَ، وَكَانَ فِيهمْ أَنْبِيَاءُ ومُلُوكٌ.

 وكَانَ لإِسْحاقَ ولَدٌ اسْمُهُ يَعْقُوبُ وكَانَ نَبيًّا.

وَكَانَ يَعْقُوبُ لَهُ اثْنَا عَشَرَ وَلَدًا، مِنْهُمُ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ.

وَيُوسفُ لَهُ قِصَّةٌ عَجِيبةٌ فيِ الْقُرآن.

وإليكَ هذِهِ الْقِصَّةَ!

**أحْسَنُ القصص**

**١- رُؤْيا عَجِيبَةٌ**

كَانَ يُوسُفُ وَلَدًا صَغِيرًا، وَكَانَ لَهُ أَحَدَ عَشَرَ أَخًا. وَكَانَ يُوسُفُ غُلاَمًا جَمِيلًا، وَكَانَ يُوسُفُ غُلاَمًا ذَكِيًّا. وَكَانَ أَبُوهُ يَعْقُوبُ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيع إخْوَتِهِ.

ذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَى يُوسُفُ رُؤْيَا عَجيبَةً.

رَأَى أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَرَأَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَسْجُدُ لَهُ.

تَعَجَّبَ يُوسُفُ الصَّغِيرُ كَثِيرًا! وَمَا فَهِمَ هذِهِ الرُّؤْيَا كَيْفَ تَسْجُدُ الْكَوَاكِبُ والشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لِرَجُلٍ؟ ذَهَبَ يُوسُفُ الصَّغِيرُ إلى أَبِيهِ يَعْقُوبَ وَحَكَى لَهُ هذِهِ الرُّؤْيَا الْعَجيبَةَ.

(( قَالَ يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ ليِ سَاجِدِينَ )).

وكَانَ أبُوهُ يَعْقُوبُ نَبِيًّا.

فَرِحَ يَعْقُوبُ بِهذِهِ الرُّؤْيَا كَثِيرًا.

وَقَالَ بارَكَ اللهُ لَك يَا يُوسُفُ، فَسَيَكُونُ لَكَ شَأن.

هذِهِ الرُّؤْيَا بِشَارَةٌ بِعِلْمٍ وَنُبُوَّةٍ.

وَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَى جَدِّكَ إِسْحاقَ وَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَى جَدِّكَ إبْرَاهِيمَ.

وَإِنَّهُ يُنْعِمُ عَلَيْكَ وَيُنْعِمُ عَلَى آلِ يَعْقُوبَ. وَكَانَ يَعْقُوبُ شَيْخًا كَبِيرًا، وَكَانَ يَعْرِفُ طَبَائِعَ النَّاسِ. وَكَانَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَغْلِبُ الشَّيْطَانُ، وَكَيْفَ يَلْعَبُ الشَّيْطَانُ بالْإِنْسَانِ.

فقَالَ يَا وَلَدي، لاَ تُخْبِرْ بِهذِهِ الرُّؤْيَا أَحَدًا مِنْ إخْوَتِكَ فإِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكَ وَيَكُونُونَ لَكَ عَدُوًّا.

**٢- حَسَدُ الإِخْوَةِ**

وَكَانَ يُوسُفُ لَهُ أَخٌ آخَرُ مِنْ أُمِّهِ اسْمُهُ بِنْيَامِين. وَكَانَ يَعْقُوبُ يُحِبُّهُمَا حُبًّا شَدِيدًا، وَكَانَ لاَ يُحِبُّ مِثْلَهُمَا أَحَدًا.

وَكَانَ الإِخوَةُ يَحْسُدُونَ يُوسُفَ وَبِنْيَامِينَ وَيَغْضَبُونَ.

كانوا يَقُولونَ: لِماذَا يُحِبُّ أَبُونَا يوسُفَ وَبِنْيَامِينَ أَكثَرَ؟.

وَلِمَاذَا يُحِبُّ أَبُونَا يُوسُفَ وَبِنْيَامِينَ وَهُمَا صَغِيرَانِ ضَعِيفَانِ؟.

لِمَاذَا لاَ يُحِبُّنَا مِثْلَ يُوسُفَ وَبِنْيَامِينَ نَحْنُ شُبَّانٌ أقْوِياءُ، هذَا أمْرٌ عَجِيبٌ.

وَكَانَ يُوسُفُ وَلَدًا صَغِيرًا، فَحَكَى الرُّؤْيَا لإِخْوَتِهِ وَغَضِبَ الْإِخْوَةُ جِدًّا لَمَّا سَمِعُوا الرُّؤْيَا وَاشْتَدَّ حَسَدُهُمْ.

وَاجْتَمَعَ الْإِخْوَةُ يَوْمًا وَقَالُوا اُقْتُلُوا يُوسُفَ أوْ اِطْرَحُوهُ أَرْضًا بَعِيدَةً.

حِينَئِذٍ يَكُونُ أَبُوكُمْ لَكُمْ خَالِصًا وَيَكُونُ حُبُّهُ لَكُمْ خَالِصًا. قَالَ أَحَدُهُمْ : لَا بَلْ أَلْقُوهُ فِي بِئْرٍ فِي طَرِيقٍ يَأْخُذْهُ بَعْضُ الْمُسَافِرِينَ وَوَافَقَ عَلَيْهِ جَمِيعُ الإخْوَةِ.

**٣- وفد إلى يعقوب**

وَلَمَّا اتَّفَقُوا عَلَى هَذَا الرَّأْي جَاؤُوا إِلَى يَعْقُوبَ. وَكَانَ يَعْقُوبُ يَخَافُ عَلَى يُوسُفَ كَثِيرًا، وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ الْإِخْوَةَ يَحْسُدُونَهُ وَلَا يُحِبُّونَهُ. وَكَانَ يَعْقُوبُ لَا يُرْسِلُ يُوسُفَ مَعَ الْإِخْوَةِ. وَكَانَ يُوسُفُ يَلْعَبُ مَعَ أَخِيهِ وَلَا يَذْهَبُ بَعِيدًا. وَكَانَ الْإِخْوَةُ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ؛ وَلَكِنَّهُمْ عَزَمُوا عَلى الشَّرِّ.

قَالُوا يَا أَبَانَا لِمَاذَا لَا تُرْسِلُ مَعَنَا يُوسُفَ؟ مَاذَا تَخَافُ؟ هُوَ أَخُونَا الْعَزِيزُ؛ وَأَخُونَا الصَّغِيرُ، وَنَحْنُ أَبْنَاءُ أَبٍ. وَالْإِخْوَةُ دَائِمًا يَلْعَبُونَ جَمِيعًا فَلِمَاذَا لَا نَذْهَبُ نَحْنُ وَنَلْعَبُ جَمِيعًا؟ (( أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ))

وَكَانَ يَعْقُوبُ شَيْخًا كَبِيرًا، وَكَانَ يَعْقُوبُ عَاقِلًا حَلِيمًا . وَكَانَ يَعْقُوبُ لَا يُحِبُّ أَنْ يَبْعُدَ مِنْهُ يُوسُفُ. وَكَانَ يَخَافُ عَلَى يُوسُفَ كَثِيرًا. فَقَالَ لِأَبْنَائِهِ:

(( أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ )) . قَالُوا: أَبَدًا ! كَيْفَ يَأْكُلُهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ حَاضِرُونَ؟ وَكَيْفَ يَأْكُلُهُ، وَنَحْنُ شُبَّانٌ أَقْوِيَاءُ؟ وَأَذِنَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ.

**٤- إلى الغابة**

وَفَرِحَ الْإِخْوَةُ كَثِيرًا لَمَّا أَذِنَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ. وَذَهَبُوا إِلى غَابَةٍ وَأَلْقَوْا يُوسُفَ فِي بِئْرٍ فِي الْغَابَةِ وَلَمْ يَرْحَمُوا يُوسُفَ الصَّغِيرَ؛ وَلَمْ يَرْحَمُوا يَعْقُوبَ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ. وَكَانَ يَوسُفُ وَلَدًا صَغِيرًا، وَكَانَ قَلْبُهُ صَغِيرًا. وَكَانَتِ الْبِئْرُ عَمِيقَةً، وَكَانَتِ الْبِئْرُ مُظْلِمَةً. وَكَانَ يُوسُفُ وَحِيدًا. وَلَكِنَّ اللَّهَ بَشَّرَ يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ: لَا تَحْزَنْ وَلَا تَخَفْ إِنَّ اللَّهَ مَعَكَ؛ وَسَيَكُونُ لَكَ شَأْنٌ. سَيَحْضُرُ إِلَيْكَ الْإِخْوَةُ وَتُخْبِرُهُمْ بِمَا فَعَلُوهُ. وَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ شَأنِهِمْ وَأَلْقَوْا يُوسُفَ فِي الْبِئْرِ اجْتَمَعُوا وَقَالُوا: مَاذَا نَقُولُ لِأَبِينَا؟ قَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ أَبُونَا يَقُولُ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ فَنَقُولُ لَهُ صَدَقْتَ يَا أَبَانَا قَدْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ. وَافَقَ الْإِخْوَةُ عَلَى ذَلِكَ؛ وَقَالُوا نَعَمْ نَقُولُ لَهُ يَا أَبَانَا قَدْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ.

قَالَ بَعْضُ الْإِخْوَانِ: وَلَكِنْ مَا آيَةُ ذَلِكَ؟ قَالُوا: آيَةُ ذَلِكَ الدَّمُ. وَأَخَذَ الْإِخْوَةُ كَبْشًا وَذَبَحُوهُ. وأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ وَصَبَغُوهُ. وَفَرِحَ الْإِخْوَةُ جِدًّا: وَقَالُوا الْآنَ يَصَدِّقُ أَبُونَا.

**٥- أمام يعقوب**

(( وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءًا يَبْكُونَ )) . (( قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ) ) .

(( وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ )) وَقَالُوا هَذَا دَمُ يُوسُفَ! وَكَانَ أَبُوهُمْ يَعْقُوبُ نَبِيًّا، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا. وَكَانَ أَعْقَلَ مِنْ أَوْلَادِهِ . وَكَانَ يَعْقُوبُ يَعْرِفُ أَنَّ الذِّئْبَ إِذَا أَكَلَ إِنْسَانًا جَرَحَهُ وَشَقَّ قَمِيصَهُ. وَكَانَ قَمِيصُ يُوسُفَ سَالِمًا. وَكَانَ مَصْبُوغًا فِي الدَّمِ فَعَرَفَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ دَمٌ كَذِبٌ؛ وَأَنَّ قِصَّةَ الذِّئْبِ قِصَّةٌ مَوْضُوعَةٌ. فَقَالَ لِأَوْلَادِهِ: بَلْ هَذِهِ قِصَّةٌ وَضَعْتُمُوهَا (( فَصَبَرٌ جَمِيلٌ )) وَحَزِنَ يَعْقُوبُ عَلَى يُوسُفَ حُزْنًا شَدِيدًا وَلَكِنَّهُ صَبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا.

**٦- يوسف في البئر**

وَرَجَعَ الْإِخْوَةُ إِلَى الْبَيْتِ، وَتَرَكُوا يُوسُفَ فِي الْبِئْرِ وَأَكَلَ الْأُخُوَّةُ الطَّعَامَ، وَنَامُوا عَلَى الْفِرَاشِ. وَيُوسُفُ فِي الْبِئْر، وَلَا فِرَاشَ وَلَا طَعَامَ. وَنَسِيَ الْإخَوَانُ يُوسُفَ، وَنَامُوا. وَمَا نَامَ يُوسُفُ، وَمَا نَسِيَ أَحَدًا. وَبَقِيَ يَعْقُوبُ يَذْكُرُ يُوسُفَ؛ وَبَقِيَ يُوسُفُ يَذْكُرُ يَعْقُوبَ. وَكَانَ يُوسُفُ فِي الْبِئْرِ، وَكَانَتِ الْبِئْرُ عَمِيقَةً. وَكَانَتِ الْبِئْرُ فِي الْغَابَةِ، وَكَانَتِ الْغَابَةُ مُوحِشَةً. وَكَانَ ذَلِكَ فِي اللَّيْلِ، وَكَانَ اللَّيْلُ مُظْلِمًا.

**٧- من البئر إلى القصر**

وَكَانَتْ جَمَاعَةٌ تُسَافِرُ فِي هَذِهِ الْغَابَةِ. وَعَطِشُوا فِي الطَّرِيقِ، وَبَحَثُوا عَنْ بِئْرٍ. وَرَأَوْا بِئْرًا، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهَا رَجُلًا لِيَأْتِيَ لَهُمْ بِالْمَاءِ. جَاءَ الرَّجُلُ إِلَى الْبِئْرِ، وَأَدْلَى دَلْوَهُ. وَنَزَعَ الدَّلْوَ، فَإِذَا الدَّلْوُ ثَقِيلَةٌ! وَأَخْرَجَهَا فَإِذَا فِي الدَّلْوِ غُلَامٌ! دَهِشَ الرَّجُلُ وَنَادَى. ( يابُشْرى هَذَا غُلَامٌ ). وَفَرِحَ النَّاسُ جِدًّا وَأَخْفُوهُ. وَوَصَلُوا إِلَى مِصْرَ، وَقَامُوا فِي السُّوقِ وَنَادَوْا: مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْغُلَامَ؟ مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْغُلَامَ؟ اِشْتَرَى الْعَزِيزُ يُوسُفُ بِدَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ. وَبَاعَهُ التُّجَّارُ وَمَا عَرَفُوا يُوسُفَ. وَذَهَبَ بِهِ الْعَزِيزُ إِلَى قَصْرِهِ، وَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَكْرِمِي يُوسُفَ؛ إِنَّهُ وَلَدُ رَشِيدٌ.

**٨- الوفاء والأمانة**

وَرَاوَدَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ يُوسُفَ عَلَى الْخِيَانَةِ. وَلَكِنَّ يُوسُفَ أَبى، وَقَالَ: كَلَّا! أَنَا لَا أَخُونُ سَيِّدِي، إِنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيَّ وأَكْرَمَنِي. إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَغَضِبَتْ اِمْرَأَةُ الْعَزِيزِ وَشَكَتْ إلى زَوْجِهَا. وَعَرَفَ الْعَزِيزُ أَنَّ الْمَرْأَةَ كَاذِبَةٌ. وَعَرَفَ أَنَّ يُوسُفَ أَمِينٌ فَقَالَ لِزَوْجِهِ ( إِنَّكِ كُنْتِ مِنْ الخاطئين ). وَعُرَفَ يُوسُفُ فِي مِصْرَ بِجَمَالِهِ، وَ إِذَا رَآهُ أَحَدٌ قَالَ ( مَا هَذَا بَشَرًا ، إنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ) . وَاشْتَدَّ غَضَبُ الْمَرْأَةِ وَقَالَتْ لِيُوسُفَ: إِذَنْ تَذْهَبُ إِلَى السِّجْنِ! قَالَ يُوسُفُ:

( السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ! ) . وَبَعْدَ أَيَّامٍ رَأَى الْعَزِيزُ أنْ يُرْسِلَ يُوسُفَ إِلَى السِّجْنِ. وَكَانَ الْعَزِيزُ يَعْرِفُ انْ يُوسُفَ بَرِئٌ وَدَخَلَ يُوسُفُ السِّجْنَ.

**٩- مَوعظةُ السِّجنِ**

وَدَخَلَ يُوسُفُ السِّجْنَ، وَعَرَفَ أَهْلُ السِّجْنِ جَميعًا أَنَّ يُوسُفَ شَابٌّ كَرِيمٌ.

وَأَنَّ يُوسُفَ عِنْدَهُ عِلْمٌ عَظِيمٌ.

وَأَنَّ يُوسُفَ فِي صَدْرِهِ قَلْبٌ رَحِيمٌ.

وَأَحَبَّ أَهْلُ السِّجْنِ يُوسُفَ وَ أَكْرَمُوهُ.

وَفَرِحَ النَّاسُ بِيُوسُفَ وَعَظَّمُوهُ.

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ رَجُلَانِ وَقَصَّا عَلَيْهِ رُؤْيَاهُمَا

( وَقَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا )

( وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ).

وَسَأَلَا يُوسُفَ عَنْ التَّأْوِيلِ.

وَكَانَ يُوسُفُ عَالِمًا بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا.

وَكَانَ يُوسُفُ نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ.

وَكَانَ النَّاسُ فِي زَمَانِهِ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ. وَوَضَعُوا أرْبَابًا كَثِيرَةً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ.

وَقَالُوا هَذَا رَبُّ الْبَرِّ، وَهَذَا رَبُّ الْبَحْرِ، وَهَذَا رَبُّ الرِّزْقِ، وَهَذَا رَبُّ الْمَطَرِ.

وَكَانَ يُوسُفُ يَرَى كُلَّ ذَلِكَ ويَضْحَكُ.

وَكَانَ يُوسُفُ يَعْلَمُ كُلَّ ذَلِكَ وَيَبْكِي

وَكَانَ يُوسُفُ يُرِيدُ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى اللَّهِ.

وَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي السِّجْنِ.

أَلَا يَسْتَحِقُّ أَهْلُ السِّجْنِ الْمَوْعِظَةَ؟

أَلَا يَسْتَحِقُّ أَهْلُ السِّجْنِ الرَّحْمَةَ؟

أَلَيْسَ أَهْلُ السِّجْنِ عِبَادَ اللَّهِ؟

أَلَيْسَ أَهْلُ السِّجْنِ بَنِي آدَمَ؟

كَانَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ وَلَكِنَّهُ كَانَ حُرًّا جَرِيئًا. كَانَ يُوسُفُ فَقِيرًا، وَلَكِنَّهُ كَانَ جَوَادًا سَخِيًّا.

إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَجْهَرُونَ بِالْحَقِّ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَجُودُونَ بِالْخَيْرِ فِي كُلِّ زَمَانٍ.

**١٠- حكمة يوسف**

قَالَ يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ:

إِنَّ الْحَاجَةَ سَاقَتِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيَّ.

وَإِنَّ صَاحِبَ الْحَاجَهِ يَلِينُ ويَخْضَعُ.

وَإِنَّ صَاحِبَ الْحَاجَةِ يُطِيعُ وَيَسْمَعُ.

فَلَوْ قُلْتُ لَهُمَا شَيْئًا لَسَمِعَا وَسَمِعَ أَهْلُ السِّجْنِ، وَلَكِنَّ يُوسُفَ لَمْ يَسْتَعْجِلْ.

بَلْ قَالَ لَهُمَا: أَنَا أُخْبِرُكُمَا بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا طَعَامُكُمَا.

فَجَلَسَا واطْمَأَنَّا.

ثُمَّ قَالَ لَهُمَا يُوسُفُ:

أَنَا عَالِمٌ بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا، ( ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ) فَفَرِحَا وَاطْمَأنَّا .

وَهُنَا وَجَدَ يُوسُفُ الْفُرْصَةَ فَبَدَأَ مَوْعِظَتَهُ.

**١١- مَوْعِظةُ التَّوْحِيدِ**

قَالَ يُوسُفُ ( ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ) .

وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يُؤْتِي عِلْمَهُ كُلَّ أَحَدٍ.

إِنَّ اللَّهَ لَا يُؤْتِي عِلْمَهُ الْمُشْرِكَ.

هَلْ تَعْرِفَانِ لِمَاذَا عَلَّمَنِي رَبِّي؟

لِأَنِّي تَرَكْتُ طَرِيقَ أَهْلِ الشِّرْكِ.

(وَاتَّبَعْتُ مِلَةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ).

( مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَئٍ )

قَالَ يُوسُفُ:

وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَيْسَ لَنَا فَقَطْ .

بَلْ هُوَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا.

( ذَلَكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ )

وَهُنَا وَقَفَ يُوسُفُ وَسَأَلَهُمَا.

تَقُولُونَ رَبُّ الْبَرِّ وَرَبُّ الْبَحْرِ وَرَبُّ الرِّزْقِ وَرَبُّ الْمَطَرِ.

وَنَحْنُ نَقُولُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

(ءَأرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ). أَيْنَ رَبُّ الْبَرِّ وَرَبُّ الْبَحْرِ وَرَبُّ الرِّزْقِ وَرَبُّ الْمَطَرِ؟

( أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ) اُنْظُرُوا إِلَى الْأَرْضِ وَإِلَى السَّمَاءِ وَانْظُرُوا إِلَى الْإِنْسَانِ .

( هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ) وَكَيْفَ رَبُّ الْبَرِّ وَرَبُّ الْبَحْرِ وَرَبُّ الرِّزْقِ وَرَبُّ الْمَطَرِ؟

( أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ). الْحُكْمُ لِلَّهِ، الْمُلْكُ لِلَّهِ، الْأَرْضُ لِلَّهِ، الْأَمْرُ لِلَّهِ. ( لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ) ( ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) ( وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) .

**١٢- تأويل الرؤيا**

لَمَّا فَرَغَ يُوسُفُ مِنْ مَوْعِظَتِهِ أَخْبَرَهُمَا بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا قَالَ: (أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا) (وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ).

وَقَالَ لِلْأَوَّلِ: (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ).

وَخَرَجَ الرَّجُلَانِ، فَكَانَ الْأَوَّلُ سَاقِيًا لِلْمَلِكِ وَصُلِبَ الآخَرُ.

وَنَسِيَ السَّاقِي أَنْ يَذْكُرَ يُوسُفَ عِنْدَ الْمَلِكِ، وَأَقَامَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ سِنِينَ.

١٣- رؤيا الملك

وَرَأَى مَلِكُ مِصْرَ رُؤْيَا عَجِيبَةً: رَأَى فِي الْمَنَامِ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ تَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ بَقَرَاتٍ عِجَافٌ، وَرَأَى سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ.

تَعَجَّبَ الْمَلِكُ مِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَا وَسَأَلَ جُلَسَاءَهُ عَنْ تَأْوِيلِهَا.

قَالُوا: هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ النَّائِمُ يَرَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَا حَقِيقَةَ لَهَا.

فَقَالَ السَّاقِي: لَا، بَلْ أُخْبِرُكُمْ بِتَأْوِيلِهَا.

وَذَهَبَ إِلَى السِّجْنِ فَسَأَلَ يُوسُفَ عَنْ تَأْوِيلِ رُؤْيَا الْمَلِكِ.

كَانَ يُوسُفُ جَوَادًا كَرِيمًا مُشْفِقًا عَلَى خَلْقِ اللَّهِ فَأَخْبَرَهُ بِالتَّأْوِيلِ، وَدَلَّهُمْ عَلَى التَّدْبِيرِ.

قَالَ: تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ، وَاتْرُكُوا مَا حَصَدْتُمْ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ قَحْطٌ عَامٌّ تَأْكُلُونَ فِيهِ مَا خَزَنْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا، وَيَطُولُ الْقَحْطُ إِلَى سَبْعِ سِنِينَ، ثُمَّ يَأْتِي الْخِصْبُ وَيُخْصِبُ النَّاسُ.

وَذَهَبَ السَّاقِي فَأَخْبَرَ الْمَلِكَ بِتَأْوِيلِ رُؤْيَاهُ.

١٤- الملك يرسل إلى يوسف

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ هَذَا التَّأْوِيلَ وَهَذَا التَّدْبِيرَ فَرِحَ جِدًّا، وَقَالَ: مَنْ صَاحِبُ هَذَا التَّأْوِيلِ؟ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الْكَرِيمُ الَّذِي نَصَحَ لَنَا وَدَلَّ عَلَى التَّدْبِيرِ؟

قَالَ السَّاقِي: هُوَ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ، وَهُوَ الَّذِي أَخْبَرَ أَنِّي سَأَكُونُ سَاقِيًا لِسَيِّدِي الْمَلِكِ.

وَاشْتَاقَ الْمَلِكُ إِلَى لِقَاءِ يُوسُفَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَقَالَ: (ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي).

١٥- يوسف يسأل التفتيش

وَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ إِلَى يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْمَلِكَ يَدْعُوكَ، لَمْ يَرْضَ يُوسُفُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ السِّجْنِ هَكَذَا فَيَقُولَ النَّاسُ: هَذَا يُوسُفُ الَّذِي خَانَ الْعَزِيزَ!

إِنَّ يُوسُفَ كَانَ كَبِيرَ النَّفْسِ، ذَكِيًّا، أَبِيًّا. فَقَالَ لِرَسُولِ الْمَلِكِ: أُرِيدُ التَّفْتِيشَ، أُرِيدُ الْبَحْثَ عَنْ قَضِيَّتِي.

فَسَأَلَ الْمَلِكُ عَنْ يُوسُفَ، فَعَلِمَ هُوَ وَعَلِمَ النَّاسُ أَنَّ يُوسُفَ بَرِيءٌ، فَخَرَجَ يُوسُفُ بَرِيئًا وَأَكْرَمَهُ الْمَلِكُ.

١٦- على خزائن الأرض

وَكَانَ يُوسُفُ يَعْلَمُ أَنَّ الْأَمَانَةَ قَلِيلَةٌ فِي النَّاسِ، وَأَنَّ الْخِيَانَةَ كَثِيرَةٌ فِيهِمْ، وَيَرَى أَنَّ النَّاسَ يَخُونُونَ فِي أَمْوَالِ اللَّهِ.

وَكَانَ يَرَى أَنَّ فِي الْأَرْضِ خَزَائِنَ كَثِيرَةً، وَلَكِنَّهَا ضَائِعَةٌ لِأَنَّ الْأُمَرَاءَ لَا يَخَافُونَ اللَّهَ فِيهَا؛ فَتَأْكُلُ كِلَابُهُمْ وَلَا يَجِدُ النَّاسُ مَا يَأْكُلُونَ، وَتَلْبَسُ بُيُوتُهُمْ وَلَا يَجِدُ النَّاسُ مَا يَلْبَسُونَ.

وَلَا يَنْفَعُ النَّاسَ بِخَزَائِنِ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ كَانَ حَفِيظًا عَلِيمًا.

فَمَنْ كَانَ حَفِيظًا وَلَمْ يَكُنْ عَلِيمًا لَا يَعْلَمُ أَيْنَ خَزَائِنُ الْأَرْضِ وَكَيْفَ يُنْتَفَعُ بِهَا، وَمَنْ كَانَ عَلِيمًا وَلَمْ يَكُنْ حَفِيظًا يَأْكُلُ مِنْهَا وَيَخُونُ فِيهَا.

وَكَانَ يُوسُفُ حَفِيظًا عَلِيمًا، وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَتْرُكَ الْأُمَرَاءَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى النَّاسَ يَجُوعُونَ وَيَمُوتُونَ، وَلَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ.

فَقَالَ لِلْمَلِكِ: (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ). فَكَانَ يُوسُفُ أَمِينًا لِخَزَائِنِ مِصْرَ، فَاسْتَرَاحَ النَّاسُ جِدًّا وَحَمِدُوا اللَّهَ.

١٧- جاء إخوة يوسف

وَكَانَ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ مَجَاعَةٌ كَمَا أَخْبَرَ يُوسُفُ. وَسَمِعَ أَهْلُ الشَّامِ وَسَمِعَ يَعْقُوبُ أَنَّ فِي مِصْرَ رَجُلًا رَحِيمًا جَوَادًا كَرِيمًا عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ، فَكَانَ النَّاسُ يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ وَيَأْخُذُونَ الطَّعَامَ.

فَأَرْسَلَ يَعْقُوبُ أَبْنَاءَهُ إِلَى مِصْرَ بِالْمَالِ لِيَأْتُوا بِالطَّعَامِ، وَبَقِيَ بِنْيَامِينُ عِنْدَ وَالِدِهِ لِأَنَّ يَعْقُوبَ كَانَ يُحِبُّهُ جِدًّا وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَبْعُدَ عَنْهُ، وَكَانَ يَخَافُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ يَخَافُ عَلَى يُوسُفَ.

وَتَوَجَّهَ إِخْوَةُ يُوسُفَ إِلَيْهِ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ أَخُوهُمْ يُوسُفُ، بَلْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ؛ وَكَيْفَ لَا يَمُوتُ وَقَدْ كَانَ فِي بِئْرٍ عَمِيقَةٍ فِي غَابَةٍ مُوحِشَةٍ لَيْلًا؟

(وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ).

فَلَمْ يُنْكِرْهُمْ يُوسُفُ بَلْ عَرَفَهُمْ، وَعَلِمَ أَنَّهُمْ الَّذِينَ أَلْقَوْهُ فِي الْبِئْرِ وَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَفِظَهُ. وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَقُلْ لَهُمْ شَيْئًا وَلَمْ يَفْضَحْهُمْ.

١٨- بين يوسف وإخوته

وَكَلَّمَهُمْ يُوسُفُ وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: مِنْ كَنْعَانَ. قَالَ: مَنْ أَبُوكُمْ؟ قَالُوا: يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالسَّلَامُ).

قَالَ: هَلْ لَكُمْ أَخٌ آخَرُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، لَنَا أَخٌ اسْمُهُ بِنْيَامِينُ. قَالَ: لِمَاذَا لَمْ يَجِئْ مَعَكُمْ؟ قَالُوا: لِأَنَّ وَالِدَنَا لَا يَتْرُكُهُ وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَبْعُدَ عَنْهُ.

قَالَ: لِأَيِّ شَيْءٍ لَا يَتْرُكُهُ؟ أَهُوَ وَلَدٌ صَغِيرٌ جِدًّا؟ قَالُوا: لَا، وَلَكِنْ كَانَ لَهُ أَخٌ اسْمُهُ يُوسُفُ، ذَهَبَ مَعَنَا مَرَّةً، وَذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَاهُ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ.

فَضَحِكَ يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، وَاشْتَاقَ إِلَى أَخِيهِ بِنْيَامِينُ.

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَمْتَحِنَ يَعْقُوبَ مَرَّةً ثَانِيَةً، فَأَمَرَ لَهُمْ يُوسُفُ بِالطَّعَامِ، وَقَالَ: (ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ)، وَلَا طَعَامَ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَأْتُوا بِهِ.

وَأَمَرَ يُوسُفُ بِمَالِهِمْ فَوُضِعَ فِي مَتَاعِهِمْ.

١٩- بين يعقوب وأبنائه

وَرَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِالْخَبَرِ، وَقَالُوا: أَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا، وَإِلَّا لَا نَجِدُ خَيْرًا عِنْدَ الْعَزِيزِ. وَقَالُوا: (إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ).

قَالَ يَعْقُوبُ: (هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ). أَنَسِيتُمْ قِصَّةَ يُوسُفَ؟ أَتَحْفَظُونَ بِنْيَامِينَ كَمَا حَفِظْتُمْ يُوسُفَ؟

(اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ).

وَلَمَّا وَجَدُوا مَالَهُمْ فِي مَتَاعِهِمْ قَالُوا: إِنَّ الْعَزِيزَ رَجُلٌ كَرِيمٌ قَدْ رَدَّ مَالَنَا وَلَمْ يَأْخُذْ مِنَّا ثَمَنًا؛ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بِنْيَامِينَ نَأْخُذْ حَقَّهُ أَيْضًا.

قَالَ يَعْقُوبُ: لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُعَاهِدُوا اللَّهَ أَنْ تَرْجِعُوا بِهِ إِلَيَّ إِلَّا أَنْ تُغْلَبُوا عَلَى أَمْرِكُمْ. فَعَاهَدُوهُ، وَقَالَ: (اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ).

وَقَالَ لِبَنِيهِ: (يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ).

٢٠- بِنْيَامِينُ عند يوسف

وَدَخَلَ الْإِخْوَةُ مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ كَمَا أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ، وَوَصَلُوا إِلَى يُوسُفَ.

فَلَمَّا رَآهُ يُوسُفُ فَرِحَ جِدًّا وَأَنْزَلَهُ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ لَهُ: (إِنِّي أَنَا أَخُوكَ)، فَاطْمَأَنَّ بِنْيَامِينُ.

وَأَرَادَ يُوسُفُ أَنْ يَبْقَى بِنْيَامِينُ عِنْدَهُ؛ يَرَاهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيُكَلِّمُهُ وَيَسْأَلُهُ عَنْ بَيْتِهِ. وَلَكِنْ كَيْفَ السَّبِيلُ وَهُوَ رَاجِعٌ غَدًا إِلَى كَنْعَانَ؟ وَالْإِخْوَةُ قَدْ عَاهَدُوا اللَّهَ أَنْ يَرْجِعُوا بِهِ، وَكَيْفَ يَحْبِسُهُ يُوسُفُ بِغَيْرِ سَبَبٍ؟

وَيَقُولُ النَّاسُ: قَدْ حَبَسَ الْعَزِيزُ عِنْدَهُ كَنْعَانِيًّا بِغَيْرِ سَبَبٍ! إِنَّ هَذَا لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.

وَلَكِنَّ يُوسُفَ كَانَ ذَكِيًّا عَاقِلًا.

كَانَ عِنْدَهُ إِنَاءٌ ثَمِينٌ يَشْرَبُ فِيهِ، فَوَضَعَهُ فِي مَتَاعِ بِنْيَامِينُ، ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ).

فَالْتَفَتَ الْإِخْوَةُ وَقَالُوا: مَاذَا تَفْقِدُونَ؟ قِيلَ: نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ، وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ.

قَالُوا: (تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ).

(قِيلَ: فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ؟)

قَالُوا: (جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ).

فَأُخْرِجَ الْإِنَاءُ مِنْ مَتَاعِ بِنْيَامِينُ، فَخَجِلَ الْإِخْوَةُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا مِنْ غَيْرِ خَجَلٍ: (إِنْ يَسْرِقْ بِنْيَامِينُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ).

فَسَمِعَ يُوسُفُ هَذَا الْبُهْتَانَ فَسَكَتَ وَلَمْ يَغْضَبْ، وَكَانَ حَلِيمًا كَرِيمًا.

قَالُوا: (يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ).

قَالَ: (مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ، إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ).

فَبَقِيَ بِنْيَامِينُ عِنْدَ يُوسُفَ، فَفَرِحَ الْأَخَوَانِ جَمِيعًا.

٢١- إلى يعقوب

وَتَحَيَّرَ الْإِخْوَةُ: كَيْفَ يَرْجِعُونَ إِلَى أَبِيهِمْ؟ وَمَاذَا يَقُولُونَ لَهُ؟ قَدْ فَجَعُوهُ أَمْسِ فِي يُوسُفَ، أَفَيُفْجِعُونَهُ الْيَوْمَ فِي بِنْيَامِينُ؟

أَمَّا كَبِيرُهُمْ فَأَبَى أَنْ يَرْجِعَ وَقَالَ: (ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ).

فَلَمَّا سَمِعَ يَعْقُوبُ الْقِصَّةَ عَلِمَ أَنَّ لِلَّهِ يَدًا فِي ذَلِكَ وَأَنَّهُ مُمْتَحِنُهُ. أَمْسِ فُجِعَ فِي يُوسُفَ، وَالْيَوْمَ يُفْجَعُ فِي بِنْيَامِينُ؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ عَلَيْهِ مُصِيبَتَيْنِ، وَلَا يُفْجِعُهُ فِي ابْنَيْنِ كَـيُوسُفَ وَبِنْيَامِينُ.

إِنَّ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ يَدًا خَفِيَّةً وَحِكْمَةً مَخْفِيَّةً؛ إِنَّ اللَّهَ يَمْتَحِنُ عِبَادَهُ ثُمَّ يُسِرُّهُمْ وَيُنْعِمُ عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ إِنَّ الْابْنَ الْكَبِيرَ بَقِيَ فِي مِصْرَ أَيْضًا وَأَبَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى كَنْعَانَ؛ أَيُفْجَعُ فِي الثَّالِثِ وَقَدْ فُجِعَ فِي اثْنَيْنِ؟ هَذَا لَا يَكُونُ.

فَاطْمَأَنَّ يَعْقُوبُ وَقَالَ: (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ).

٢٢- يظهر السر

وَلَكِنَّ يَعْقُوبَ بَشَرٌ فِي صَدْرِهِ قَلْبُ بَشَرٍ لَا قِطْعَةُ حَجَرٍ؛ فَذَكَرَ يُوسُفَ وَتَجَدَّدَ حُزْنُهُ، وَقَالَ: (يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ).

فَلَامَهُ أَبْنَاؤُهُ وَقَالُوا: إِنَّكَ لَا تَزَالُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَهْلِكَ.

قَالَ: (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْيَأْسَ كُفْرٌ، وَكَانَ لَهُ رَجَاءٌ كَبِيرٌ فِي اللَّهِ.

فَأَرْسَلَ أَبْنَاءَهُ إِلَى مِصْرَ لِيَبْحَثُوا عَنْ يُوسُفَ وَبِنْيَامِينُ وَيَجْتَهِدُوا فِي ذَلِكَ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

فَذَهَبُوا إِلَى مِصْرَ مَرَّةً ثَالِثَةً، وَدَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ، وَشَكَوْا إِلَيْهِ فَقْرَهُمْ وَمُصِيبَتَهُمْ وَسَأَلُوهُ الْفَضْلَ.

فَهاجَ الْحُزْنُ وَالْحُبُّ فِي يُوسُفَ وَلَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ، وَقَالَ لَهُمْ: (هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ).

فَعَلِمُوا أَنَّهُ يُوسُفُ، وَزَالَ الشَّكُّ.

قَالُوا: (أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ؟)

قَالَ: (أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي، قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا؛ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ).

قَالُوا: (تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ).

فَقَالَ: (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ).

٢٣- يوسف يرسل إلى يعقوب

وَاشْتَاقَ يُوسُفُ إِلَى لِقَاءِ يَعْقُوبَ، وَقَدْ طَالَ الْفِرَاقُ، فَكَيْفَ يَصْبِرُ الْآنَ وَقَدْ ظَهَرَ السِّرُّ؟ وَكَيْفَ يَطِيبُ لَهُ الشَّرَابُ وَالطَّعَامُ وَأَبُوهُ لَا يَطِيبُ لَهُ شَرَابٌ وَلَا طَعَامٌ وَلَا مَنَامٌ؟

فَقَالَ: (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا، وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ).

٢٤- يعقوب عند يوسف

فَلَمَّا سَارَ الرِّجَالُ بِقَمِيصِ يُوسُفَ إِلَى كَنْعَانَ أَحَسَّ يَعْقُوبُ رَائِحَةَ يُوسُفَ، فَقَالَ: (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ).

فَلَمَّا جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا، وَقَالَ: (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)؟

قَالُوا: (يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ).

قَالَ: (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ).

ثُمَّ قَدِمُوا مِصْرَ، فَاسْتَقْبَلَهُم يُوسُفُ، وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا.

وَقَالَ يُوسُفُ: (هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا).

(إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ).

وَحَمِدَ يُوسُفُ اللَّهَ وَشَكَرَهُ شُكْرًا عَظِيمًا، وَأَقَامَ يَعْقُوبُ وَآلُهُ فِي مِصْرَ زَمَنًا طَوِيلًا.

٢٥- حُسْنُ العاقبة

وَلَمْ يَشْغَلْ هَذَا الْمُلْكُ الْعَظِيمُ يُوسُفَ عَنِ اللَّهِ وَلَمْ يُغَيِّرْهُ؛ بَلْ كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَعْبُدُهُ وَيَخَافُهُ، وَيَحْكُمُ بِحُكْمِهِ وَيُنَفِّذُ أَوَامِرَهُ.

وَلَمْ يَرَ الْمُلْكَ شَيْئًا عَظِيمًا، وَلَمْ يُحِبَّ أَنْ يَمُوتَ مَوْتَ مَلِكٍ وَيُحْشَرَ مَعَ الْمُلُوكِ؛ بَلْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ مَوْتَ عَبْدٍ وَيُحْشَرَ مَعَ الصَّالِحِينَ.

وَكَانَ دُعَاؤُهُ: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ).

فَتَوَفَّاهُ اللَّهُ مُسْلِمًا، وَأَلْحَقَهُ بِآبَائِهِ: إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.